Scientific Events Gate

Innovations Journal of Humanities and Social Studies

مجلة ابتكارات للدراسات الإنسانية والاجتماعية

IJHSS

https://eventsgate.org/ijhss

e-ISSN: 2976-3312

الإنسان الهمجي في مقابل الحيوان العاقل في قصص القرآن الكريم

الدكتور عبد اللطيف بن علي صديق العريشي

وزارة التعليم- المملكة العربية السعودية

arfkra@gmail.com

الملخص: تتناول هذه الدراسة بعض قصص الإنسان والحيوان في القرآن الكريم التي اشتركا فيها معًا في السلوك بنوعيه الإيجابي والسلبي، وينصب التركيز على شخصية الإنسان الذي قام بسلوك غير عقلي/همجي، يقابله شخصية الحيوان الذي قام بفعل عقلاني/متحضر بما يخالف طبيعته الحيوانية بهدف تعديل سلوك الإنسان؛ مما يدل على تحضّر شخصية الحيوان ونضج وعيه، وبيان صور شخصية الإنسان الهمجي وصور شخصية الحيوان المتحضر، وإبراز العلاقة بينهما، مع رصد سلوك شخصيات الإنسان وشخصيات الحيوان كما صورتها تلك القصص، كما تبين الدراسة دور تلك العلاقة في تغيير سلوك الإنسان، ثم بيان ما انفردت به هذه الشخصيات الحيوانية عن شخصية الإنسان في سلوكهما، وكيف أصبحت أعلى درجة من الإنسان في العقل والفعل. وخلصت الدراسة إلى أن الإنسان قد يسقط إلى درك الحيوانية والهمجية عندما يقدم غرائزه وشهواته على عقله، فيخالف السنن التي فطر عليها، ويسعى في الأرض خرابًا، في حين قد يرقي الحيوان بسلوكه الإيجابي إلى درجة التحضر والإنسانية، فيكون أعلى درجة من الإنسان؛ وقيامه بدور المرشد والموجه الذي يثني الإنسان عن ممارسة السلوك السلبي، ويعدل مساره نحو الوجهة الإيجابية الصحيحة التي يفترض أن يكون عليها.

الكلمات المفتاحية: القصة القرآنية، الشخصيات، الإنسان، الحيوان، الهمجي، المتحضر.

Barbaric man versus the Rational Animal in the stories of the Qur'an

Dr.Abdullatif Ali Saddiq Arishi

Ministry of education- Saudi Arabia

arfkra@gmail.com

Received 15/09/2023 - Accepted 08/11/2023 - Available online 15/01/2024

Abstract: This article aims to study some of the human and animal stories in the Holy Qur'an, where both seem to be similar in both positive and negative behavior. The study focuses mainly on human behavior which deviates from normal human behavior, doing bad deeds like irrational/barbaric behaviors. Humans in this type of behavior were then contrasted with animals, which do rational/civilized behaviors, opposing their animality. The comparison aims to modify human behavior to become a civilized and mature, differentiating between barbarism and civilization. Furthermore, the concept and image of savageness were clarified and

highlighted, and how both should be related, as manifested in the stories studied. As revealed in the Holy Qur'an, humans should behave and distinguish themselves from animals. Animals in the stories represent civilized and disciplined humans, and they even surpass humans in their behavior. The study concludes that humans may fall into animalism and barbarism when they obey their lust and inhuman desires. A human should be distinguished from animals, and the only way of doing so is to behave according to the Holy Qur'an principles and teachings. As depicted in the stories, if animals can enhance their behavior to civilization, humans should do so, because they are expected to do everything good to all humanity. Humans also should be real guides in life having an eye widely opened upon how to make life and earth a better place for all creatures.

KEYWORDS: Quranic Story, Characters, Human, Animal, Civilized.

المقدمة

تعد القصة في القرآن الكريم جزءًا مركزيًا فيه، فهي تكتنز كثيرًا من القيم والأخلاق والمضامين الهادفة، لتعديل سلوك أو لأخذ العبرة والعظة. ومن أهم عناصر القصة الشخصيات، وقد انفردت بعض القصص القرآني بوجود شخصيات الإنسان والحيوان، بل وجد منها قصص كان الحيوان أحد شخصيات القصة الرئيسة، وأدت دورًا في تغيير مجرى الأحداث، كقصة سليمان –عليه السلام– والهدهد، وقصة يونس –عليه السلام– والحوت، وقصة أصحاب الكهف، وقصة أصحاب الفيل ونحوها.

وبما أن شخصية الحيوان كان لها أثر كبير في مقابل شخصية الإنسان تحديدًا، وفي رسم أحداث القصة؛ مما جعل شخصية الحيوان هي الفاعلة في سير الأحداث، وأصبحت شخصية الإنسان في المرتبة التالية للحيوان؛ انصبت الدراسة على القصص التي اجتمع فيها الإنسان والحيوان معًا، وكانتا شخصيتين محوريتين فيها، وكانت صورة الإنسان العاقل في تصرفاته أقل من الحيوان، وفي مقابل ذلك ارتقى الحيوان درجة أعلى في الإنسانية، وكانت تصرفاته فيها من حسن التصرف وحسن التدبير، ما لا يؤتى إلا للإنسان، فصار الحيوان إنسانًا والإنسان حيوانًا.

وستعرض الدراسة هنا لتلك القصص القرآنية التي جاء فيها الإنسان العاقل بتصرف غير عاقل، في مقابل الحيوان غير العاقل الذي يقوم بسلوك يخالف طبيعته الحيوانية، وكان الإنسان والحيوان شخصيات محورية في القصة.

وسترتكز الدراسة على دور شخصية الحيوان في القصة القرآنية في مقابل ما قام به شخصية الإنسان، وإظهار صورة التقابل بينهما، وبيان صورة الهمجية وصورة التحضر، وذلك ببيان مفهوم العقل، والفرق بين عقل الإنسان والحيوان؛ مما يبرز الهمجية/الحيوانية والتحضر/الإنسانية، وبيان دور كل منهما.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تمثل شخصية الحيوان في القصص القرآني عنصراً مهماً في تحريك أحداث القصة، وقد جاءت الشخصية الحيوانية نقطة مركزية في دفع السرد في قصص كثيرة، بل هناك من القصص ما انبت القصة برمتها على شخصية حيوانية، وكانت شخصية محورية فيها كالبقرة والهدهد والغراب والناقة، وغيرها، ولما لهذه الشخصيات الحيوانية من تأثير في البناء القصصي

القرآني مما يبرهن على أهمية الشخصية الحيوانية في القصة القرآنية استدعت أن تكون مجالاً للبحث فيها، وقد تمظهرت الشخصية الحيوانية في صور متعددة، وانفردت بعض الشخصيات الحيوانية في صورة لافته، إذ قامت بأمور وسلوكيات تخالف المألوف وفق خلق الله سبحانه لها، مما دعا المتأمل لسلوك شخصية الحيوان لتحليل ذلك ومقاربته وبيان تمظهرات تلك الشخصية وصورها. فشخصية الحيوان الذي خلقه الله بعقل يقضي به حاجاته الفسيولوجية كما هو معروف تخرج عن المألوف، وتخالف طبيعتها الحيوانية المعهودة، وتقوم بسلوك يدعو للتأمل؛ وذلك عندما تقابل شخصية الإنسان الذي قام بسلوك يخالف العقل البشري والمنطق، مما يدعو لدراسة هذه الشخصية الحيوانية التي انفردت بهذا عن بقية شخصيات الحيوان التي وردت في القصص القرآني، من هنا سعت الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. كيف بدت صورة الهمجي والمتحضر في قصص القرآن الكريم

2. ما هي سلوك الحيوان في مقابل الإنسان في القصص القرآني؟

3. ما دور شخصية الحيوان في تغيير مجرى الأحداث؟

4. كيف واجهت الشخصيات الحيوانية الشخصيات الإنسانية؟

5. كيف قامت شخصية الحيوان بأفعال تفوق قدرتها الطبيعية؟

فرضيات الدراسة

مما سبق في سياق مشكلة الدراسة نفترض جدلاً الفرضيات الآتية:

1. أن شخصية الحيوان التي وردت في الدراسة حيوان عاقل يملك قدرات عقلية تفوق عقلية البشر.

2. أن شخصية الحيوان الذي يقابل الإنسان في القصة القرآنية، ويقوم فيها الإنسان بما يخالف العقل يمنحه الله قدرات تجعله موجها للإنسان.

3. أن شخصية الحيوان مجال الدراسة لديها قدرات لايفهما البشر إلا إذا منح الله الإنسان لغة التخاطب معهم كما حدث مع سليمان عليه السلام.

4. أن هناك من الحيوانات ماخلقها الله بقدرات عقلية عالية، ولديها علامات الذكاء تمكنها من محاورة وتوجيه البشر.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى بيان صورة شخصية الحيوان وصورة الإنسان في القصص القرآني وسلوكهما، وتمظهر الحيواني في الإنساني والإنساني في الحيواني.

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية الدراسة فيما يأتي:

1- أهمية شخصية الحيوان في القصص القرآني.

2- أهمية شخصية الحيوان المتحضر في مقابل شخصية الإنسان الهمجي.

3- أهمية صورة الحيوان في القصص القرآني، وارتقائها فوق شخصية الإنسان.

4- أهمية سلوك الحيوان في تغيير سلوك الإنسان.

5- قيام الحيوان بما يخالف طبيعته الحيوانية.

حدود الدراسة

اقتصرت الدراسة على شخصية الحيوان الذي قام بسلوك يخالف طبيعته الحيوانية في مقابلة شخصية الإنسان الذي قام بسلوك همجي في القصص القرآني، فاشتملت على الشخصيات الحيوانية (الغراب، الهدهد، الفيل)، وشخصيات الإنسان (قابيل، بلقيس، أبرهة)؛ لتمثل الهمجية والإنسانية فيها.

مصطلحات الدراسة

القصص القرآنية: أخبار حقيقية عن الأمم الماضية.

الشخصية: المحرك الرئيس لبناء الأحداث، ومنها الإنساني وغير الإنساني كالحيوانات.

التحضر: حالة تطبع سلوك الشخص بأساليب تتميز بضبط الغرائز ورقي السلوك.

الهمجية: حالة قريبة من الحيوانية، تخضع للغرائز البدائية، ويتطبع سلوك الهمجي بها.

العقل: إدراك الشيء على ما هو عليه من حقيقة في تكوينه وغاية خلقه ووجوده.

الدراسات السابقة

هناك دراسات كثيرة ومتنوعة عن القصص القرآني، منها دراسة مشيل (2009) التي تناول فيها القصة القرآنية لغة واصطلاحًا وعناصرها وأسلوب الحوار فيها.

ومن أقرب الدراسات إلى موضوع الدراسة دراسة الكفاوين (2018) التي قامت بدراسة دور الشخصيات غير الإنسانية في بناء القصص القرآني، متخذة من الحيوان نموذجًا، وبيان دورها في بناء أحداث تلك القصص؛ إذ قامت الدراسة بإبراز دور الحيوان في الأحداث، ومن تلك الشخصيات غير الإنسانية التي عرضت لها: البقرة، والكلب، والعجل، والذئب، والحوت، والثعبان، والفيل، والغراب، والهدهد، والنمل، وغيرها.

وقامت بدرانة والجبيل (2020) بدراسة آيات الحيوان في القرآن الكريم، والكشف عن القيم التربوية المتضمنة فيها، ومنها التوبة والرحمة والتطوع ونحوها، وذلك بواسطة عرض الحيوانات التي وردت في القرآن الكريم كالعجل، والبقرة، والخيل، والنمل، والهدهد. وكيف تمثلت تلك القيم فيها.

يظهر مما سبق عرضه اكتفاء الدراسات السابقة بعرض شخصية الحيوان ودورها في البناء القصصي، وعرض الجانب التربوي في القصة، لكنها لم تقارب التقابل بين شخصية الحيوان وشخصية الإنسان، ودوره في تغيير أو محاولة تغيير سلوك

الإنسان عندما يتقابلان في موقف حواري بينهما، وكيف خالف الحيوان طبيعته وتحول إلى مصلح اجتماعي, وهذا ما تريد الدراسة الكشف عنه وتحليله.

الإنسان والحيوان في القرآن الكريم

كرم الله الإنسان على الحيوان، وفضّله على كثير من خلقه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[سورة الإسراء الآية 70]. يقول سيّد قطب: "إن الله كرم الإنسان في هيئته، وفي النفخ فيه من روحه، وكرّمه باستعداده لخلافة الأرض، وكرّمه، كذلك بتسخير الكون له، وكرّمه بجعل الملائكة تسجد له، وبذكر هذا في كتابه الكريم"(Sied Gutub,2023) ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [سورة الإسراء الآية 61]، وجعل خلقه في أحسن صورة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، وهداه للخير والشر، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:10]، وجعل له عقلًا(Esraa Kamel,2012) يميز به بين الحق والباطل والخير والشر، ويتفكر به في ملكوت الله تعالى، فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة تبارك الآية 23]. لكن هناك من بني الإنسان من تخلّى عن طبيعته الإنسانية، وعطّل التفكير العقلي، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [سورة الحج الآية 46]. إذ "تجد في طبع الإنسان وخلقه بعض خصال الحيوان المتفرقة بين أصنافه"(Saad AL-Arifi,2008)، بل تجد من نزل إلى دركة أقل من الحيوانية، وألغى ميزة العقل، وتحول إلى إنسان همجي يعيش حياة التوحش، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الفرقان الآية 44].

وخلق الله الحيوان وجعل له من العقل ما يعيش به في الحياة الدنيا، وسخره لخدمة الإنسان تكريمًا له، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [سورة طه الآية50]. فالحيوانات "أُعطيت من التمييز والإدراك ما تتم بها مصلحتها ومصلحة من ذُلّلت له، وسلبت من الذهن والعقل ما ميّز به عليها الإنسان، وليظهر أيضًا فضيلة التمييز والاختصاص" (Ebn ALqaeem, 1994)، إذن فعقل الإنسان عقل للتفكر وتدبر فيما حوله، وعقل الحيوان عقل تدبير أمر حياته وخدمة الإنسان. وبالنظر إلى القصص القرآني التي اجتمع فيها شخصية الإنسان والحيوان، يلحظ تقديمهما في صورة مخالفة لطبيعتهما التي عرفت به هاتان الشخصيتان في الواقع.

القصص القرآني... الإنساني والهمجي المفهوم والدلالة

القصة القرآنية يقصد بها "أنباء وأخبار تاريخية عن أحداث وقعت في القرون الماضية"(Abdulkarim AL-ktib,1959) . فهي نص قرآني له خصائصه التي تميزه من غيره من القصص، يختلف تمامًا عن النصوص القصصية الإبداعية، "وعليه، لا يمكن أن نربط مفهومها هذا بالقصة البشرية الفنية"(Omar AL-kawafin,2018). وينفرد نموذج القصة القرآنية في مكوناتها وأسلوبها وطريقة عرضها، وفي الحوار الدائر بين شخصياتها؛ إذ لا تركز على المكان بقدر تركيزها على الحدث والشخصية، وهناك فوارق كبيرة بينها والقصة الإبداعية(Saber meshal,2009) ليس هنا مكان عرضها.

وتعد الشخصية محورًا رئيسا في القصة القرآنية، وتؤدي دورًا مهمًا فيها، بل تغلب على الحدث أحيانًا، وتكون سببًا في تغيير مجراه. وفي قصص القرآن هناك شخصيات قد أدّت دورًا مركزيًا فيها، وأصبحت هي المحرك الفاعل في القصة. ومن تلك القصص ما اجتمع فيه شخصيات الحيوان والإنسان، لكن المعني بالدراسة هنا هي القصص القرآنية المشتملة على شخصية الحيوان المتحضر في مقابل شخصية الإنسان الهمجي، وتبين أنها ثلاث قصص قرآنية يمكن أن تتواءم مع الدراسة، وهي

قصة الهدهد وبلقيس، وقصة قابيل والغراب، وقصة أبرهة والفيل. شخصية الحيوان المتحضر (الغراب، والهدهد، والفيل) في مقابل شخصية الإنسان الهمجي أو غير العاقل (قابيل، بلقيس وقومها، أبرهة).

وأقصد بالهمجية/الحيوانية: سلوك الإنسان غير العقلاني، والتصرفات التي تدل على عدم توظيف العقل، وأقصد بالحيوان المتحضر/الإنساني الحيوان الذي يقوم بسلوك إنسان عاقل، ويدل تصرفه على تحضر ورقي، يضارع سلوك الإنسان، وقد يتفوق عليه؛ أي إن "الهمجية حالة حيوانية أو قريبة من الحيوانية، يعيشها الأفراد، وتعيشها المجتمعات، وتتميز بالبساطة والعفوية، والخضوع التام للغرائز الطبيعية البدائية للنفس البشرية، فتطبع سلوك الهمجي بطابعها في كل ما يفعل ويدع. وبالمقابل الحضارة حالة من التقدم والرقي يعيشها الأفراد وتعيشها المجتمعات وهي كحالة متقدمة في المسيرة البشرية تتميز بالتعقيد، فتطبع سلوك الشخص المتحضر بتقاليد وأساليب، تتميز بضبط الغرائز، وترقية السلوك، ورقي الاهتمامات، والسمو بالنوازع الغرائزية وتصريف طاقاتها في أنماط من السلوك أكثر رقيًا وتهذيبًا"(Ahmad AL-fagih,2015). وهذه القيم قد جاءت بها الرسالات والكتب السماوية، لكن من البشر من خالف تلك القيم، وتحول إلى حياة الهمجية؛ كي يمارس رغباته ونزواته، مفضلًا ذلك على حياة التحضر.

والهمجية والتحضر حالتان تكتسبان بالتربية والقدوة، فالله وهب الإنسان العقل كي يتعلم، فيتصرف وفق ما تعلمه من شرائع سماوية، فيأتي سلوكه منضبطًا متحضرًا يحكمه العقل الرشيد، "لكن الإنسان عندما يفكر بعقله، ويكون سلوكه وفق شهواته النفسيه أو الغريزية بسلوك حيواني هو هنا الحيوان"(Kasem AL-yaseri,2020)، وهذه هي الصورة التي رسمت لشخصية الإنسان الهمجي في القصص القرآني في مقابل الحيوان المتحضر، الذي صورته القصة ضابطًا لسلوكه وغرائزه ساميًا باهتماماته، وهنا المفارقة الغريبة.

شخصية الحيوان والإنسان في القصص القرآني

تعددت الشخصيات الإنسانية وتنوعت في قصص القرآن الكريم من الأنبياء وغيرهم ومن المسلمين وغير المسلمين، من العرب وغير العرب، كما تنوعت شخصية الحيوان، فمنها الطيور، والحيوانات البرية، والحيوانات البحرية، ومنها الحيوانات الأليفة وغير الأليفة، ومنها ما يستخدم للركوب، ومنها ما يكون من عدة الحرب.

والشخصية الإنسانية في القصة القرآنية "لها أبعاد ومكونات جسمية وعقلية ومعرفية وخلقية تنعكس على القصة"(Omar AL-kawafin,2018)، وهناك من الشخصيات الحيوانية ما كان دور محوري وفاعل في مجرى أحداث القصة؛ إذ انحرفت الأحداث باتجاه آخر مضاد للأول، وذلك عندما انفردت شخصيات الإنسان في بعض القصص بأمور غير عقلية، ظهرت عليها ملامح الهمجية؛ مما لفت الانتباه إليها، إذا ما قورنت بسلوك شخصية الحيوان في القصة نفسها.

من هنا فقد رسمت القصة القرآنية لبعض الشخصيات الإنسانية خللًا في العقل والتفكير، عكست صفات لا تتناسب مع العقل الإنساني، من سوء التصرف، والهمجية، والسلوك غير المنضبط بالسنن الكونية والدينية.

وفي مقابل هذه الشخصيات الإنسانية قدمت القصة القرآنية شخصيات حيوانية كان لها دور محوري كالشخصية الإنسانية، وأدت دورًا أساسيًا في البناء القصصي، ولفت منها شخصيات حيوانية وقفت في مقابل شخصية الإنسان غير العقلاني، وقامت بسلوك عقلي يخالف طبيعتها الحيوانية، هدفت من ورائه إلى تعديل سلوك الإنسان الهمجي وغير العقلاني؛ مما عكس أهمية هذه الشخصية الحيوانية وتفوقها على شخصيات حيوانية أخرى لم تقم بهذا الدور مع أهميتها في الأحداث

القصصية، بل فاقت الشخصيات الإنسانية، من هنا كانت هذه الشخصيات الإنسانية والحيوانية جديرة بالدراسة؛ حتى تبرز جانبًا من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، ومنها:

الغراب وقابيل

تذكر القصة أن آدم –عليه السلام– كان يزوج أبناء وبنات البطن الواحد من أبناء وبنات البطن الآخر، فأراد أن يزوج أخت قابيل لهابيل، ويزوج أخت هابيل لقابيل، فرفض قابيل، ورأى أنه أحق بأخته من هابيل، ثم قرب كل منهما قربانًا لله تعالى، فقرب هابيل بقرة سمينة من أفضل ما لديه، وقرب قابيل، حزمة يابسة من زرعه، فتقبل الله قربان هابيل، ولم يتقبل قربان قابيل، فحسد أخاه، وعاداه، وفكر في قتله، وهدده به، فقال له هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين، فهدده بالقتل، فقال له: لإن بسطت يدك لتقتلني فلن أبسط يدي لأقتلك، وكانت نفسه الأمارة بالسوء تدفعه للقتل، فبقي يتحين الفرص لذلك، حتى وجده يومًا نائمًا على صخرة، فقتله، وبعدها لم يعرف كيف يفعل بجثة أخيه هابيل، وظل يحملها على كتفه فترة طويلة من الزمن، وبينما هو كذلك جاء غراب إلى غراب ميت، وقام بحفر حفرة ووضع الغراب الميت فيها، –وقابيل ينظر لذلك الفعل– ثم دفن وغطى الغراب الحفرة بالتراب، عندها عرف قابيل أن هذا الغراب خير منه، عرف كيف يواري سوأة أخيه، وبقي هو عاجزًا لا يعرف ماذا يفعل، فندم على فعلته بأخيه. (Ebn kathir,1419.A.H). قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: 27–31].

في هذه القصة تبرز أمامنا شخصيتان متقابلتان (قابيل والغراب) الإنسان والحيوان؛ إذ صورت القصة الإنسان ظالمًا متغطرسًا، متمردًا على القيم والأخلاق، يعيش حياة التوحش، لا يوظف عقله في شؤون حياته، ويطلق العنان لقوته الجسدية في تحقيق رغباته ونزواته، هذا الإنسان العاقل الذي صورته القصة يحسّد أخاه، ويريد أن يتزوج أخته وقد خرجت معه من بطن واحد، مخالفًا بذلك ما سنّه أبوه آدم عليه السلام، ويهدد بالقتل أخاه، ثم يتربص له حتى يقتله، بعدها ظل عاجزًا لا يدري ماذا يفعل وكيف يتصرف بجثة أخيه، هذه تصرفات وسلوكيات لا تؤتى من إنسان عاقل تحمّل الأمانة، بل تدل على سلوك غير عاقل مخالف للإنسانية، فكان بذلك إنسانًا همجيًا نزل لمستوى الحيوانية، وفي المقابل يأتي الغراب، الحيوان، فيجد أحد الغربان ميتًا، فيقوم بتصرف لم يعرفه الإنسان العاقل، فيحفر له ويدفنه.

وتتمثل الهمجية في الإنسان (قابيل) في سلوكياته التي قام بها؛ إذ حسد أخاه (هابيل) وأراد أن يتزوج أخته، وهذا سلوك حيواني، بل أقل من الحيوانية، فهناك بعض الحيوانات التي "تحتل بعض أصناف الحيوان مكانًا رفيعًا من حيث الطهارة ورعاية القربى، فتجد الذكور لا تنزو على الإناث التي تتصل معها برحم"(Saad AL–Arifi,2008)، وقام قابيل بقتل أخيه، أول جريمة في تاريخ البشرية، وهذا سلوك أقل من حيواني "فالوحوش لاتقتل بني جنسها"(Pierre Nahardt,1998)، مع أنها مجبولة على التوحش والافتراس، وقابيل الإنسان العاقل يقتل أخاه دون تردد، مع تذكيره له بالله وخوفه من عقابه أن يبسط يده لقتله، وزادت حيوانية قابيل همجية عندما لم يعرف كيف يفعل بجثة أخيه، معتقدًا أنها تترك في العراء كالحيوان دون دفن. كل هذه سلوكيات همجية من الإنسان الذي أودعه الله عقلًا يفكر، وأنزل عليه شرعًا يحكم تصرفاته، ويحد من نزواته، ويكبح جماح شهواته.

في مقابل هذه الشخصية/الإنسان الهمجي شخصية حيوان عاقل متحضر، فاق الإنسان في عقله، بل فاقه في سلوكه وتصرفه، الغراب الطائر الأسود غير المحبوب، الذي يتشاءم منه الناس، لكن القصة القرآنية صورته حيوانًا ذكيًا يمتلك قدرات تفوق قدرات الإنسان، ويعلم مالا يعلمه الإنسان، بل يعرف ما ينفع وما يضر. هذه شخصية/الغراب الذي وجد أخاه ميتًا، فلم يتركه، بل واراه في التراب؛ لأنه يعلم خطر بقائه على الأرض، وما قد يسببه بقاؤه ميتًا، فقام بدفنه. فهل دفن الغراب للغراب الميت فيه دلالة على تكريم الغراب لأخيه الميت، أم معرفته بالأضرار البيئية التي قد تسببها جثة الغراب دون دفن؟

لقد جاءت صورة الإنسان هنا في أقبح صورة، فهي أقبح وأشنع صور الشخصيات الثلاث؛ إذ صورته عدوانيًا، معتديًا، قاتلًا، أنانيًا، حاسدًا لأخيه، عاقًا لوالديه غير مطيع لهما، فهو إنسان همجي غير متحضر، ثم صورته القصة نادمًا، ضعيفًا، لاحيلة له، حزينًا على فقد أخيه، عاجزًا، تعطلت قواه العقلية، لا يملك قدرة على التفكير. وهذا تفسير للهمجية التي يمارسها الإنسان قديمًا وحديثًا كلما وجد فرصة سانحة لذلك، فهي جينات متوارثة في البشر كما يرى كارل يونج، تحتاج إلى ما يهذبها ويكبح جماحها. في حين صورت الغراب حيوانًا ذكيًا، عليمًا بعواقب الأمور ومآلاتها، يحب الحيوانات من جنسه، ويعطف عليها حتى بعد موتهم، وفيه من الرحمة ما لا توجد في الإنسان.

قصة بلقيس والهدهد

سخر الله لسليمان –عليه السلام– الطير والجن والحيوانات، وكان من بين هؤلاء الهدهد، وقد افتقده يومًا، فتفقده في الطير فلم يجده، فهدد سليمان –عليه السلام– بقتله، وبعد مدة جاء الهدهد، وأتى بخبر يقين، لم يعرف عنه سليمان شيئًا؛ إذ وجد الهدهد أمرًا عجبًا، وجد ملكة تحكم الناس، وقد سُخر لها من الجنود والعتاد من يقومون على خدمتها، ولها عرش ملك عظيم، يدل على قوتها وعظمتها، وقد أعطى الله مملكتها من الخيرات النعم الكثيرة، ومع هذا يسجدون للشمس من دون الله تعالى، فالهدهد متعجب من هؤلاء الذين يعبدون الشمس، ويتركون عبادة الله الذي أنبت لهم الزرع، ورزقهم من كل شيء، وأعطاهم هذا الملك العظيم، وعلى ما هم فيه من الخير، لم يتفكروا فيمن خلقهم. جاء الهدهد بهذه الرسالة لسليمان عليه السلام، فأرسله برسالة لهم يدعوهم لدين الله تعالى، وأمره أن ينظر ماذا هم فاعلون؟

قال تعالى في كتابه يحكي عن ذلك: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ(22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: 19–28].

وردت في القصة شخصيات كثيرة، وسيكون تركيزنا منصبًا على شخصيتين بدا سلوك كل منهما مضادًا للآخر؛ الأولى الملكة بلقيس وقومها، والأخرى الهدهد، فالحدث أو السلوك الذي لفت انتباه الهدهد أن بلقيس وقومها يسجدون للشمس التي خلقها الله، ويتركون الله سبحانه خالق كل شيء، على ما أوتوا من العلم والقوة، فإنهم لم يتفكروا في معبودهم الذين يعبدون، يسجدون للشمس التي تشرق صباحًا فتعطي للأرض والنبات الضوء، معتقدين أنها هي أحق بالعبادة، ولم يتفكروا من الذي جعل الشمس كذلك. وهذا سلوك يدل على تعطيل العقل الذي ميزهم به خالقهم، ولم يتفكر في ذلك عاقل منهم، فهم أمةٌ كبيرة يسجدون لغير الله، فخالفوا الفطرة التي فطرهم الله عليها. وهذا سلوك غير عاقل من إنسان عاقل.

ويقابل ذلك السلوك غير العاقل سلوك عاقل من حيوان سخره الله لخدمة الإنسان، ومنحه طبيعة حيوانية يقضي بها حوائجه، ويقضي بها مصالح من سخر من أجله، لكن الهدهد قد تجاوز ذلك، أتى بسلوك لم يشابه عقل الإنسان، بل ضاهاه وتجاوزه، الهدهد بعكس الإنسان يحمل رسالة سامية، إنها توحيد الله بالعبادة، ويعلم أن الله حقيق بالعبادة، ويعرف أدلة تلك الأحقية، فقد وجد في مملكة بلقيس ما يخالف كل نواميس الحياة؛ وجد امرأة تحكمهم، وكأنه يعلم أن الحكم يحتاج إلى الرجال، ووجد أن الله قد أنعم عليهم بكل أنواع النعم، والأمر الأشد غرابة على الهدهد أنه وجدهم يسجدون للشمس من دون الله، ووجد أنه قد زخرف لهم الشيطان ذلك، فمنعهم من التأمل في ذلك، واستغرب الهدهد كيف لهذا الإنسان لا يسجد لله، وهو الذي يخرج المخبوء في السماء من المطر ومن الأرض من الزروع والنباتات! وهو الذي يعلم ما نخفي وما نعلن، وهو رب العرش العظيم.

كل ذلك لم يعرفه الإنسان العاقل، وعرفه الهدهد وقدمه لقائده بحسن بيان، وصواب رأي، وقدرة في التمييز بين الحق والباطل، فتأمل أدبه مع الحاكم، وكيف قدم له المعلومة، يقول سيد قطب: "استفتح الهدهد خطابه لسليمان –عليه السلام– بشيء عجيب؛ إذ قال: {أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ} فالهدهد يعرف حزم الملك وشدته، ولذلك بدأ حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته، وتضمن إصغاء الملك له"(Sied Gutub,2023)، ثم قال: {وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}، "وهذا نوع من براعة الاستهلال وخطاب التهييج، ثم الكشف عن حقيقة الخبر كشفًا مؤكدًا بأدلة التوكيد" (Epn AL–Qyim,1994). فنحن أمام حيوان لديه دراية بمهارة الاتصال، والقدرة على التأثير، فضلًا عن صفات إنسانية أخرى، منها إنكار المنكر، واحترام القيادة، ودقة الملاحظة(Hamad AL–khwaldah,2014)، مع قدرته على حسن صياغة الخبر الذي نقله إلى سليمان عليه الصلاة والسلام، وتقديمه بعبارات جميلة ومختصرة.

هذا(الهدهد) الحيوان تجاوز الإنسان بكثير، فلم يتجاوزه بالعقل فقط، بل تجاوزه بمهارة التفكير وحسن التصرف؛ إذ أصبح يملك مهارات لم تتوفر لدى كثير من البشر إلا بالتعلم والتدرب عليها؛ منها لغة التواصل، فالهدهد يملك لغة تواصلية، وقدرات على التأثير، فقد أنسى سليمان –عليه السلام– أمر تأخره، واندهش بالخبر الذي بصُر به الهدهد دون غيره، لكن إنسان سبأ يجهل كثيرًا مما يتمتع به هذا الهدهد.

وقد صورت القصة الهدهد حيوانًا ذكيًا محاورًا جيدًا، مقتنعًا بما يؤمن به من قيم، يدافع عنها بقوة، كما صورته القصة أمينًا ومحل ثقة، ويعتمد عليه في تنفيذ القضايا المصيرية التي تهم الأمة، وصورته كذلك محبًّا للخير لجميع المخلوقات، حريصًا على ينفع الناس وينقذهم من عذاب الله تعالى، فضلًا عن مجموعة القيم التربوية كالبحث، والتتبع للمعرفة، والتطوع(Hazem Ahmad,2021). في حين صورت شخصية الإنسان مغرورًا بما يملك من قوة، جاهلًا بما ينفعه في آخرته، لكنه صاحب مشورة وتفكر فيما يجد عليه في الحياة.

أبرهة والفيل

كان أبرهة ملكًا حبشيًا باليمن، وكان قد بنى كنيسة بصنعاء سمّاها القلّيس أراد أن يصرف حجّ العرب إليها، ولِكي يُحقّق ذلك نذر أن يهدم الكعبة، وعندما بدأ المسير إليها مع جيشه، خرج إليه ملك من ملوك حمير يسمّى ذو نفر ممن أطاعه قومه؛ فقاتله، فهزمه أبرهة، وطلب ذو نفر منه أن يبقيه معه؛ لأنّ دعمه خير له من قتله، فأبقاه وسار معه، وأكمل مسيره باتّجاه الكعبة، وعندما اقترب من بلاد خثعم خرج إليه زعيمٌ يسمّى النفيل ومعه عدد من القبائل اليمنيّة وقاتلوا أبرهة فهزمهم، وطلب النفيل منه أن لا يقتله، وأن يأخذه دليلًا له في أرض العرب، فوافق أبرهة على ذلك، وأكمل مسيره إلى أن وصل

الطائف فخرج إليه مسعود بن معتب مع رجال من ثقيف يُخبره بأنّهم عبيد عنده، وأنّ البيت الذي يَقصده في مكانٍ يسمّى مكّة، وأنّهم سيبعثون معه مَن يدلّه عليه؛ فبعثوا معه رجلًا يسمّى أبو رغال.

وكان عبد المطلب قد علم باقتراب أبرهة من مكّة فأمر قريشًا بالتفرّق في الشعاب، وتجهّز أبرهة وجيشه لدخول مكّة، وحمل على فيله ما أراد أن يحمل ووجّهه للمسير، لكنّه توقف وبَرَك مكانه، فأخذوا بضربه بالمعول على رأسه وأدخلوا محاجنهم في أقرانه ومع ذلك أبى التّحرك، وكانوا إن وجّهوه ناحية اليمن هرول، وإن صرفوه ناحية الحرم توقف، وبقي كذلك حتّى وصل الفيل إلى جبل من الجبال، ثمّ أرسل الله تعالى طيرًا أبابيل، يحمل كل طيرٍ منها ثلاثة أحجارٍ؛ اثنين في رجليه وواحد في منقاره، وألقت الطيور هذه الأحجار على أبرهة وجنده، وما من أحد أصابته تلك الحجارة إلا هلك، فرجع من نجى منهم بسرعة وأخذوا، بالتساقط في كل بلد، وأمّا أبرهة فقد أصابه الله بمرض في جسده؛ فكانت أنامله تتساقط واحدة تلو الأخرى، وكان ينشأ مكان هذه الأنامل القيح والدم، حتّى وصل اليمن كفرخ الطير ثمّ مات، وسمّي هذا العام بعام الفيل(Ebn Katheer,1419.A.H). وقد جاءت القصة مختصرة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: 1-5].

يتقابل في هذه الحكاية الإنسان غير العاقل (أبرهة) والحيوان العاقل (الفيل)؛ الإنسان يريد هدم الكعبة، فيعدّ العدة، ويجهز العتاد، ويرتحل من صنعاء إلى مكة، وكم من محاولات حاولت صدّه، وثنيه عن فعله، لكنها لم تستطع ذلك، ومع ذلك لم يرتدع، مع علمه بقدسية هذا البيت، بل كابر واستمر في غيه وطغيانه، ولما قرب من مكة توقف الفيل عن السير في طريق أبرهة، لم يفكر أبرهة ومن معه عن سبب توقف الفيل، بل قاموا يضربونه بالمحاجن، يريدون دفعه للسير لهدم الكعبة، لكنه لم يفعل، ربما اعتقد الفيل أن يفهم أبرهة الرسالة، فيمتنع عن فعلته، لكنه لم يعِ، فقام الفيل بمحاولة أخيرة؛ إذ كان يبرك كلما وجّه إلى مكة، ويهرول مسرعًا إذا وُجّه باتجاه آخر غيره، بقي الفيل بسلوكه هذا لينذر أبرهة علّه يمتنع ويتراجع بجيشه عن هدم الكعبة، إلا أنه لم يفعل حتى سلّط الله عليه طيرًا أبابيل، ففرقت جنده، وعاد إلى صنعاء مثخنًا بجراحه، وبقي مدة ثم مات.

الإنسان العاقل يريد هدم الكعبة، والحيوان غير العاقل يمتنع عن ذلك، يتقابل الاثنان في سلوك يخالف طبيعتهما، ذو العقل يقوم بسلوك غير عاقل، وغير ذي العقل يقوم بسلوك عاقل.

فرسمت القصة صورة الإنسان أبرهة همجيًا، يقتل ويهدم، مغرورًا بما يملك من قوة، لا يقبل المشورة والرأي السديد، تظهر شجاعته باستعانته بغيره، كما صورته القصة مهزومًا مخذولًا خائبًا ضعيفًا بنفسه لا يملك القدرة على الدفاع عنها، في حين كانت ترسم صورة الحيوان كمعالم القوة والتحمل والصبر، والخشية مما يغضب الله، صامتًا يوجه سيده بفعله لا بقوله.

لقد أظهرت شخصيات القصص الثلاث سلوكيات متقابلة، يخالف طبيعة كل منها، الإنسان (قابيل، بلقيس، أبرهة)؛ إذ قام بسلوكيات غير عاقلة: القتل، والسجود للشمس، وهدم الكعبة، ونزل إلى أقل دركة في سلم الحيوان، "فالإنسان عندما يفكر بعقله وسلوكه وفق شهواته النفسية أو الغريزية بسلوك حيواني هو هنا الحيوان"(AL-yasiri, Qasim,2019). فما قام به من سلوكيات يعلم تمام العلم أنها محرمة؛ إذ نبّه هابيل أخاه قابيل، فقال تعالى: ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾، لكنه لم يستمع لكلام أخيه، وبلقيس تعلم أن الله خالق الشمس، وأبرهة يعلم أن الكعبة بيت الله، لكن غلبت شهوتهم عقولهم، فقاموا بهذا السلوك غير العقلاني.

في حين نجد شخصيات القصة الحيوانية (الغراب، الهدهد، الفيل) ترتقي لدرجة العقلانية التي ميز بها الإنسان دون الحيوان، على اختلاف بينها، فالغراب أتى بسلوك حضاري وسنّة يقوم بها كثير من الناس، وهي دفن الموتى، وعلّم قابيل ما كان يجهله، ولم يستدل بعقله على دفن أخيه، وكان يجهل ضرر بقاء الجثة في العراء على الإنسان، لكن الغراب دفن بني جنسه، وقام بتدريب عملي للإنسان، استدل منه على جهله وعجزه عن فعل ذلك، ونقص تفكيره في القيام بذلك. إذن قدّم الغراب درسًا مباشرًا لبني الإنسان، واكتشف الإنسان بذلك الدرس مدى عجزه في أن يماثل الغراب في ذلك التصرف، وكان الأجدر ألّا ينتظر الإنسان حيوانًا ليعلمه كيف يواري جثة أخيه.

أما سلوك الهدهد فإنه يدل على عقل إنساني يميز بين الخطأ والصواب، "وهذا يدل على أنه أعلم من ناس كثيرين من المميزين المستدلين الناظرين"(AL-gahez,1424.A.H) ، لقد أنكر سجود بلقيس وقومها للشمس، وأنهم لا يسجدون لله، وقدّم الحجة عليهم في ذلك، فهو حيوان عقل أنه لا ينبغي السجود لغير الله تعالى، والإنسان العاقل لم يستدل على ذلك، مع كل ما لبني الإنسان من النعم الكثيرة التي تدعوهم للتأمل في الكون من حولهم، فلهم القوة والمنعة، وهذه لا تؤتى إلا بعلم، لكنهم مع ذلك جهلوا قدرة الله وأحقّيته بالعبادة.

وجاء سلوك الفيل في مقابل سلوك أبرهة، بوصفه إنسانًا يريد هدم الكعبة مقابل فيل يرشده بسلوكه أنه لا يصح منه ذلك، لكن شهوة الهدم طغت على التفكير العقلاني، وترك الفيل وذهب باتجاه الكعبة فحلّ به العذاب.

وجاء سلوك الشخصية الحيوانية المقابل لسلوك شخصية الإنسان في صور متنوعة، والمباشر وغير المباشر، فالغراب علّم قابيل بشكل مباشر، دون أن يخاطبه، لكنه قصده بالتعليم، ولذلك اكتسب منه وتعلّم طريقة الدفن، في حين كان الهدهد أعلى وأعلم في سلوكه منه، فقد لاحظ سلوكًا إنسانيًا خاطئًا، ثم نقله لقائده، وأتى بالدليل على ما قاله، وبين علة ما هم عليه، وشارك في تغيير هذا السلوك، ففاق دوره دور الغراب والفيل، بل فاق البشر أنفسهم، وتميز عنهم، واستطاع مع سليمان – عليه السلام– أن يغيّر المنكر، فكان دوره فاعلًا ومباشرًا في تغيير سلوك الإنسان، وأعاد أمةً كاملة للإيمان بعد الكفر، في حين جاء دور الفيل وسلوكه محدودًا، فلم يعلّم أبرهة مباشرة، ولكن بالإيحاء الذي كان يمكن أن يستدل منه على سوء تصرفه، ولذلك لم يستفد من سلوك الحيوان، واستفاد قابيل، وبلقيس من سلوك الغراب والهدهد. وهذا يدل على اكتساب الحيوان لمهارات دون تعلم، في حين يحتاج الإنسان إلى تعليم وتدريب؛ كي يعرفها ويتقنها، فقد فاقه الحيوان بلغة التواصل، وحسن التدبير، والقدرة على التغيير؛ إذ أتى الحيوان بأمور قد "لا يقدر حذّاق رجال الرأي، وفلاسفة علماء البشر بيد ولا آلة، بل لا يبلغ ذلك من الناس أكملهم خصالًا وأتمهم خلالًا، فأحسنت هذه الأجناس بلا تعلم ما يمتنع على الإنسان وإن تعلم، فصار لا يحاوله، إذ كان لا يطمع فيه"(AL-gahez,1424.A.H). وهذا أمر عجيب أن يأتي الحيوان متفوقًا على الإنسان.

لقد ألبست القصة القرآنية شخصية الحيوان لباسًا إنسانيًا؛ إذ نسبت تلك المشاعر الإنسانية، والقدرة على التفكير، وتعلمه لمهارات متعددة من خصائص الإنسان، وذلك السلوك الذي جعله يعبر عما يجول في خاطره، وما يشعر به، من خلال تصرفه، الذي قام به تجاه الإنسان رحمة به، وإرشادًا له إلى الفعل الصحيح الذي ينبغي أن يتبعه، وهذا يظهر العلاقة والرابط بين الحيوان والإنسان، التي تجاوزت الدور الحيواني من التسخير لخدمة الإنسان إلى الدور الإنساني الحق.

إذن فسلوك الحيوان الذي قابل سلوك الإنسان في القصص الثلاث، سلوك متحضر وعاقل من حيوان غير عاقل، بل سلوك ترك أثره على الإنسان، فقد كان مقصودًا، ولهذا نجا الإنسان الذي غيّر سلوكه، وعرف أنه أخطأ، وهلك من لم يغير سلوكه، فكان فعل الحيوان هو الفعل الصحيح والعاقل، ومن الأولى ألّا نسميه همجيًا في مقابل سلوك همجي وغير متحضر من الإنسان.

نتائج الدراسة

وهكذا اتضحت سمات الحيوان المتحضر في القصة القرآنية، ودوره في تغيير سلوك الإنساني الهمجي عندما يتقابلان في موقف قصصي، لما يتمتع به من خصائص تفوق خاصيته الحيوانية. ويمكن تلخيص نتائج البحث فيما يأتي:

1. اطّرد في جميع القصص مجال الدراسة قيام شخصية الحيوان بأمور غير مألوفة، لم يعتد أن تؤتى منه، فالغراب يدفن الموتى، والهدهد يدعو لعبادة الله وحده، والفيل يرفض السير باتجاه الكعبة لهدمها، هذه الأفعال لا يتوقع أن يقوم بها الحيوان، لكن عندما اجتمع مع الإنسان في القصة أتى بخوارق، فوق طبيعته الحيوانية.

2. اتضح في القصص المعروضة من خلال تقابل شخصية الإنسان والحيوان تحضّر الحيوان، ورقي سلوكه مما يتناسب مع القيم الإنسانية التي خالفها الإنسان، ونزل إلى درك الحيوانية، فكانت صورته همجية، يحب القتل، ويهلك كل ما يواجهه، ويرفض كل مبادئ التسامح والحوار، يسعى فقط لإشباع رغباته حتى وإن خالفت قيم الدين والمجتمع.

3. من العجيب أن توجد حيوانات تتمثل فيها كل سمات الإنسانية، كما فيها خصائص الإنسان التي ميزته عن الحيوان، فالإنسان لا يتصور وجود هذا الحيوان في الواقع، إلا إذا ربط بالقدرة الإلهية، من هنا كان ذلك الحيوان غير عادي؛ إذ وجد فيه خصائص لا توجد في بني جنسه من الحيوانات.

4. تمظهر مفهومي الهمجية والتحضر في شخصيات القصص التي جرى عرضها بشكل كامل، ومن خلال الجوانب السلوكية.

5. عندما سقط الإنسان إلى أدنى الحيوانية وُجّه من حيوان؛ ليكون ذلك له تحقيرًا وإهانة؛ إذ جاء تعليمه وتعديل سلوكه من حيوان أقل شأنًا منه، ليكون له عبرة أن الإنسان في درك الحيوانية عندما يقدم غرائزه وشهواته على عقله، وأن عقل الحيوان الذي أودعه الله فيه لقضاء حاجاته الفسيولوجية يكون أعلى من الإنسان عندما يبطل عقله.

6. من خلال المقارنة بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان في القصص القرآني تجلى مخالفة الإنسان للنواميس التي جبل الله عليها البشر، على العكس من الحيوان الذي لم يخالف طبيعته الحيوانية التي جبله الله عليها، بل تعدت مصلحته لغيره.

7. تظهر القصص مجال الدراسة أن الإنسان مهووس بمخالفة القيم الدينية والإنسانية، ومصادمة المجتمع في قيمه وأخلاقه وسلوكياته، وهذا ربما يفسر مجابهة الأقوام للرسل –عليهم السلام– الذين أرسلهم الله للناس لبيان الحق والباطل، ويظهر ذلك بجلاء في شخصية قابيل وأبرهة.

ملخص الدراسة

هذا البحث ناقش الإشكال المطروح:

كيف يقوم الحيوان في القصة القرآنية بتعليم الإنسان وتوجيه النصح أو اللوم له، وبيان السلوك الصحيح له، خاصة عندما يقوم الأخير بسلوك لا يقبله عاقل، وهو ليس لديه قدرات عقلية؟ ووضع لذلك فرضيات وأهدافاً، متبعاً المنهج الوصفي التحليلي، وبين أن شخصية الحيوان في القصة القرآنية تقوم بسلوك غير مألوف منها في طبيعة خلقها، نظراً لنزول سلوك العقل إلى أدنى مستويات الحيوانية، فجاء الحيوان لبيان همجية الإنسان عندما يتجاوز عقله الذي فطره الله عليه، ولكي يعود إلى عقله، ويتوقف سلوك غير العقلاني، وقد قام البحث ببيان ذلك، من خلال بيان مفهوم الهمجية والتحضر، وبيان مفهوم

العقل في القرآن، وتحليل القصص التي جاء فيها الحيوان العاقل مقابلاً للإنسان الهمجي، وبيان الصورة التي ظهر فيها كل منهما، وخلص البحث إلى مناقشة النتائج التي توصل إليها، وبيان الصورة المعجزة لشخصية الحيوان في القصة القرآنية.

References

AL-Quran.

AL- faqih 'ahmad salih.(2011,June15) alhamajiat w alhadarat from https://marebpress.net/articles.php?id=10666

Al-areefi, saed (2008). Solok al-haywn fi al-shear al-gaheli, dar tabok, sa.

Al-gahez, amr bn bahr (1424), al- hawan,dar al-kutub al- elmiah, byrot, lubnan.

Al-kateeb, abdulkareem(1975), al- gesas al-qurani fi mnzumeh w mafhumeh,dar al-marefah, cayro, mesr.

Al-kwafeen, omar fares(2018). Citation:dawr alsahksiaat ghyr 'ilnsania fi bina' algasas alqurani alhayawanat anmwdhjaan,albuhith w aldirasat journal,15(2),438-456.

Al-kwledah, hamad (2014) ashkal sulook al- hywan fi al-quran w dlalatuh altrwbeah, publisher: jamiea malaya, Malaysia.

AL-yasiri, qasim mohammed,(2019, may18).mugaranat alsuluk bayn ealam al'iinsan w ealam alhayawan from https://www.kitabat.info/subject.php?id=133946.

Bdranh, Hazem Ahmad.(2021). Citation: Al-gyam al- trwbeeah al- motadhmenh fi ayat al-haiwan fi ayat al-Quran Al- kareem.Al- gameah al-eslameyh lldrasat al-trbwiah w al-nfseeah journal,29(3),573-583

Ebn ALqaeem, Mohammad (1994) shefaa al-qlil fi masael al- algdaa wal-gadar.dar al-asmiei al-gadedh, AL-ryadh.

Ebn ALqaeem, Mohammad (1994)Meftah dar al-saadah w mnshor wlayht al-elm w al-eradah.dar al- kotob al- elmyah,Byrot.

Ebn Kathir, Esmeel (1419 A.H).tfseer al-quran al- azeem.Dar al-kutub al-elmyah,Byroot, lobnan.

Hiruwud, birinhiardit (1998) taarikh altaedhib, tarjama mamduh eudwan,dar algiundiu,Dimashq, suria.

Kamel, 'iisra'(2012). Citation: ayat aleaql fi alquran alkarim dalalat allafz altadabur wa'iiejaz wa altafakur. Kuliyat aladab, jamieat bagdhdad journal,(102),351-383.

Mashil,sabir (2009). Citation: Alqisat alqurania mafhuman w aslwbaan, almajala aljamiea journal, (11), 45-66.

Sulayman, 'i.A.(2016). 'ashkal suluk alhayawan fi alquran. dar eamaar,eamaan, al'urdun.

Syd, qutb (2023) fi zilal alquran, dar gusur, bayrut,lubnan.